بحث فلسفي عرفاني

لسماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى

السيد الحسني

(دام ظله الشريف)

الحلاّج ورفع الإنّـيّة

ورد سؤال عن الحسين بن منصور الحلاّج البغدادي ، وفيه فرعان :-

أ ــ ما هو موقف الشارع من الحلاّج ودعاواه ؟

ب ــ في مناجاة منسوبة للحلاّج ورد فيها البيــت التالي :

(بيني وبينك انّيّ ينازعني فارفع بحقك انّيّ من البين)

ماذا يفهم من هذا البيت وما هو المقصود من رفع الإنّيّة بين العبد والخالق الحق (جلت عظمته)

توقيع الناحية المقدسة

لتحديد موقف الشارع المقدس من الحلاّج ودعـــاواه قول : نقل العديد من علماء الطائفة الحقة (قدس الله أرواحهم) في كتبهم ، انه قد صدر التوقيع الشريف من الناحية المقدسة (على صاحبها الصلاة والـــسلام) الذي ينص على لعن الحلاّج

وقد ذمّـــه علماء الشيعة (رضوان الله عليهم) ممـــن عاصره وتأخر عنه ، واتهامهم إياه بـــدعاوى باطلـــة منهـــا ، البابية للناحية المقدسة ، والإمامة ، والنبوة ، والحلول والربوبية وشذ عن ذلك الإجماع البعض ممن أوّل كلماته ، ولا يخفى إن تأويل كلماته لا ترفع عنه الاتهامات الموجّهة إليه ولا تنفي تـــصريحاته وظـــاهر

كلامه بتلك الدعاوى الباطلـــة ، وعليـــه يحـــصل الاطمئنان بان الإجماع منعقد على تكفير الحلاّج .

وفيما يخص معنى البيت الشعري المنسوب للحـــلاّج يمكن تفسيره وتأويله بعد الإطلاع علـــى تفاصـــيل البحث القادم ، وقبل الدخول في البحـــث لا بـــأس بالإشارة إلى أن البيت الشعري ورد في العديد مـــن النسخ بالشكل التالي :

(بيني وبينك أنّيّ ينازعني

فارفع بلطفك أنّيّ من البين)

والمعنى العام لا يفرق في البيتين ، وبعد التوكل علـــى الله العلي القدير والاستعانة بقدرة وتسديدات مولانا

بقية آل محمد (عجل الله تعالى فرجه وصـــلوات الله وسلامه عليه) أقول:

الـــوجـــود والإنّـــيـّة

ووجود الواجب تعالى و إنيتّه عين ماهيتـــه ، وهـــو وجود بحت خاص شخصي عين الوحدة الحقّة والهوية الشخصية ، وهذا الوجود بلحاظ التحقق يمكـــن أن يقال انه كلي ومشترك ويقصد بالكلية هنا الإحاطـــة والانبساط ، أي إن إحاطته لا يبقى معها شيء بحيث لا ثاني له في الوجود ، فهو تعالى يمتاز عن ما ســـواه بالتعين الإحاطي لا بالتعين التقابلي ، والانبساط بمعنى

انبساط نوره على الماهيـــات وهياكـــل الأشـــياء ، وانبساط رحمته التي وسعت كل شيء .

الـــكـــثـــــرة

وعلى ذلك اللحاظ يقال أن للوجود كثرتين :-

١ / **الكثرة النورية** : وهي التفاوت في المراتب ، حيث إن الوجود مقدم ومؤخر وشديد وضـــعيف ، وفوق التمام وتام وناقص ، مستكف وغير مستكف ، وان هذا التفاوت في المراتب لا تنثلم به الوحدة الحقة الحقيقية ، وعلى هذا المبنى قيل بأن الوحـــدة الحقـــة الظلّية تكون في الإنسان الكامل وهو وجه الله وظله صاحب النفس الكلية الإلهية والجوهرة اللاهوتية والى

هذا المعنى يمكن أن يشير ما نسب إلى أمير المـــؤمنين وسيد الموحدين (عليه السلام) : {{ أتزعم انـك جـرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر }} .

٢ / **الكثرة الظلمانيّة** : وهذه الكثرة يوصف بهـــا الوجود بالعرض من حيث الإضافة إلى الماهيـــات ، فيأخذ الوجود التباين والضدّية والندّية بـــالعرض ، والذات هي المتباينة والمتضادة بالذات ، ومثال الكثرة الظلمانية ، كما في وجود الإنسان ووجود الأســـد ووجود البقر ووجود الحجر ووجود البياض ووجود السواد وغيرها من الوجودات .

حقيقة الواجب والوجود

إن حقيقة الواجب غير معلومة لأحد بالعلم الحصولي الصوري ، لأن حقيقة الواجب ليست إلا الوجـــود فكيف يكون لهذا الوجود وجود ، ولا يخفى إن العلم بالشيء إلا نحواً من أنحاء وجود ذلك الشيء للذات المجردة ،

وكذلك فان حقيقة الوجود غير معلومة لأحد علمـــاً إكتناهياً ونهائياً وإحاطياً عقلياً أو حسياً لأن القـــوى العقلية والحسية ليس لها قاهرية وتسلط على الوجود بالإحاطة والإكتناه لعدم كون تلـــك القـــوى علـــة للوجود حتى يقال إن القاهرية والتسلط متحققة للعلة بالقياس إلى المعلول ، وان المعلول إنما هو شأن مـــن

شؤون علته وان للمعلول حصول تام عند علته وليس للعلة حصول تام عند المعلول .

العـــلـم والإدراك

يمكن تقسيم العلم إلى البسيط والمركب :-

١ - العلم البسيط : إدراك الـــشيء مـــع الـــذهول والغفلة عن ذلك الإدراك ومع الذهول والغفلة عـــن التصديق لأن المدرك ماذا ؟

٢ - العلم المركب : إدراك شيء مع الشعور بهـــذا الإدراك ومع الشعور والالتفات بأن المدرك هو ذلك الشيء .

العلم بالحق تعالى وإدراكه

بناءاً على ما ذكر سابقاً من قسمة العلم فإن العلـــم بالحق تعالى وإدراكه يمكن قسمته إلى قسمين : -

الأول : الإدراك البسيط للحق (جلـت قدرتــه) : وهو الإدراك للحق تعالى مع الذهول والغفلة عن ذلـــك الإدراك وعن التصديق بأن المدرك هو الحق ، وهـــذا الإدراك يحصل لكل أحد في اصل فطرتـــه وســـبب حصوله يمكن بيانه على شكل مقدمات .

١ : إن المدرك بالذات هو نحو وجود ذلك الـــشيء سواء كان الإدراك حسياً أو خيالياً أو عقلياً وســـواء كان حضورياً أو حصولياً .

٢ : إن وجود كل شيء هو عبارة عن حقيقة هويته المرتبطة بالوجود الحق العليم ، فإن الهويات الوجودية من مراتب تجليات ذاتـــه و لمعات جلاله وجماله .

٣ / ويتفرع على ذلك ، إن الحكم علـــى الأشـــياء بالموجودية يتعلق بهوياتها العينية من حيث كونها متعلقة ومرتبطة بالوجود إلاهي ، ولا يخفى إن الحكم يحتاج إلى تصور وإدراك الموضوع بنفسه أو بوجهه .

٤ : ويتفرع على ذلك أيضاً ، إن كل من أدرك شيئاً من الأشياء بأي إدراك كان فقد أدرك البـــاري وان غفل عن هذا الإدراك .

٥ : وينتج عن ذلك إمكانية أرادة هذا المعنى من قوله تعالى: { ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله....} سورة البقرة /آية ١١٥ .

٦ : لا يخفى على الجميع إن هذا الإدراك البسيط لا يستلزم إدراك الحق بكنه ذاته ومنتهاها وحقيقتها لإمتناعه .

الثاني : الإدراك المركب للحق (جلت قدرته) : وهو إدراك الحق تعالى مع الالتفات والشعور بهذا الإدراك وان المدرك هو الحق تعالى والتصديق بذلك وهو على وجهين : -

الوجه الأول : الإدراك بالعلم الاستدلالي : وهذا الإدراك يحصل عند العقلاء والمتفكرين في صفاته تعالى وآثاره ، وهو المناط بالرسالة والتكليف .

الوجه الثاني : الإدراك بالكشف والشهود : وهذا خاص بالأولياء والعرفاء .

الكشف والشهود

إن ذات الحق (المقدسة عن الحصر والتقييد بالأمكنة والجهات والأحياز) يمكن لحاظها بالإفاضة والإشراق والتجلي وتتناسب درجته مع الوعاء الوجودي للممكن ، فكل ممكن كالإنسان ينال من تجلي الذات المقدسة بقدر وعائه الوجودي ويحرم من التجلي بقدر

ضعفه وتصوره وضيقه عن الإحاطة به لبعده عن منبع الوجود وهذا البعد لضعف الممكن ولمقارنته للأعدام والقوى والمواد وليس البعد لبخل الحق المقدس ، فإنه تعالى كريم وان عظمته ونوره ورحمته وسعت كـــل شيء فهو سبحانه في العلو الأعلى من جهة كمالـــه الأقصى وفي الدنو الأدنى من جهة سعة رحمته فهـــو العالي في دنوّه والداني في علوّه ويشهد لهذا القـــرب والدنو والسعة والرحمة والإحاطة : ما ورد :-

١ : عن النبي المصطفى(صلى الله عليه وآله) : { لو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله }

٢ : انه روي إن بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له : أنت خليفة نبي هذه الأمة ؟ فقال أبو بكر له: نعم .

فقال (اليهودي) : إنـــا نجد في التـــوراة أن خلفـــاء الأنبياء اعلم اُممهم ، فاخبرني عن الله سبحانه أين هو في السماء أم في الأرض ؟

فقال (أبو بكر) : هو في السماء على العرش

فقال اليهودي : فأرى الأرض خاليـــة منـــه ، واراه علـــى هذا القول في مكان دون مكان ؟

فقال له أبو بكر : هذا كلام الزنادقة ، أعزب عـــني وإلا قتلتك .

فولّى الحبر (اليهودي) متعجباً يستهزئ بالإسلام

فأستقبله أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لـــه : يـــا يهودي قد عرفت ما سَئَلتَ عنه وما اُجِبـــتَ بـــه ، وإنـــا نقول : إن الله عز وجل أيّن الأيـــن فلا أيـــنَ لـــهُ ، وجل أن يحويه مكان وهو في كل مكان بغـــير مماسة ولا مجاور ، يحيط علماً بما فيها ، ولا يخلو شيء منها من تدبيره ، واني مخبرك بما في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك فان عرفته أتؤمن به ؟

قال (اليهودي) : نعم

قال (عليه السلام) : ألستم تجدون في بعض كتبكم إن موسى بن عمران(عليه الـــسلام) كـــان ذات يـــوم جالســـاً ، إذ جاءه ملك من المـــشرق فقـــال لـــه موسى(عليه السلام) من أين أقبلت ؟

قال (الملك) : من عند الله عز وجل ، ثم جاءه ملك من المغرب فقال موسى (عليه السلام) له : من أيـــن جئت ؟

فقال (الملك) : من عند الله عز وجل ثم جاءه ملـــك فقال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عز وجل وجاءه ملك آخر فقال له : قد جئتـــك مـــن الأرض السفلى السابعة من عنـــد الله تعـــالى فقـــال موسى(عليه السلام) : سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان اقرب من مكان .

فقال اليهودي : اشهد إن هذا هو الحق وانك بمقـــام نبيك ممن استولى عليه .

الحجب النورية والظلمانيّة

ولا تشتبه وتنسب درجة وقدر أحاطته بنا إلى قـــدر ودرجة ملاحظتنا له ، لإن أحاطته أغزر وأوفر واشد استغراقاً ، فملاحظة الحق تعالى تكون على قدر مـــا يمكن للمفـــاض عليه أن يلاحظ المفـــيض (جلـــت عظمته) ، وهذا يعني أن مشاهدته تعالى غير ممكنه لأي شيء ممكن وذلك لوجود الحجب وهي :

١ ــ إن الحق تعالى محتجب لكمال نوريتـــه وشـــدة ظهوره وقوة لمعانه ، فنمنع من المشاهدة كما منع شدة ظهور الشمس وقوة نورها أبصارنا عـــن إكتناهها والإحاطة بها لان شدة نورها حجبها .

٢ ــ إن الحق تعالى محتجب عنا لضعف ذواتنا المجردة النورية .

٣ ــ إن الحق تعالى محتجب عنا لوجــود الحجــب الظلمانية للماهية والأعدام والنقائض والآفات الــتي تعلقنا بها .

والنتيجة : إننا يمكن إن نعرف الحق المطلق (جلــت عظمته) ونشاهده ولكن لا يمكن أن نحيط به علمــاً والى هذا يرجع معنى قوله تعالى {... ولا يحيطون به علماً # وعنت الوجوه للحي القيوم... }

سورة طه/ آية ١١٠ــ١١١

حجاب التعيّن والإنّيــّة

يحصل الكشف والشهود بترك الالتفات إلى الــذات الممكنة ومتعلقاتها الطبيعية والدنيوية ، والإقبال بكلية الذات إلى الحق تعالى ، ومهما وصل الإقبال والتوجه إلى درجات عالية وقصوى وحصل الكشف والشهود فإن حجاب التعيين والوجود والإنّيـــّة للممكــن كالإنسان يبقى ثابتاً ، وبعبارة أخــرى انــه مهمــا حصلت من مجاهدات وتجردات عن الذات فلا يمكن الوصول إلى إلغاء هــذا الحجاب حقيقة بحيث يكون الشهود تاماً ، نعم يمكن إن يرتفع حجــاب التعــيين والإنيــّة عن نظر الإنسان المشاهد فقط وليس حقيقة ، وعلى هذا المعنى يمكن أن يوجّه معنى البيت المقتطع

من المناجاة المنسوبة للحلاّج ، فيقال أن الحلاّج يدعو الله تعالى للرفع الظاهري عن النظر لحجاب التعـــيين والإنيـــّة لذات الحلاّج .

الخطوة الأولى

والوصول إلى الكشف والمشاهدة لابد من ذكـــر الله تعالى ومن الأسباب الرئيسية والأساســـية في زيـــادة الذكر ورسوخه هو ذكر الله تعـــالى عنـــد الطاعـــة والمعصية ويكون الذكر سبباً لفعل الطاعـــة وتـــرك المعصية ، وهكذا نكرر ونداوم إلى أن يستولي المذكور وهو الله تعالى على القلب ويتجلى ويظهر وينكشف في القلب ، فالذاكر في هذه المرحلة من التجلي يحب الله تعالى حباً شديداً ويغفل عن جميع ما سواه حتى عنه

نفسه ، والواصل إلى هذا المقام لا يرى في الوجود إلا الحق تعالى ، ويمكن إن يرجع إلى هذا المعنى القـــول بوحدة الوجود ، أي أن الموجود في نظر الفاني هـــو الحق تعالى لا غيره لأنه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه .

وقد أشار الشارع المقدس إلى إن ذكر الله تعالى هـــو الأصل والأساس في عدة موارد منها :

١ : قوله تعالى : { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }سورة الأعراف/آية ٥٥

٢ : قوله تعالى: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّـــهَ ذِكْراً كَثِيراً # وَسَبِّحُوهُ بُكْـــرَةً وَأَصِـــيلاً } ســـورة الأحزاب/ آية ٤١ــ٤٢

٣ : قوله تعالى: { وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآْصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ }سورة الأعراف/آية ٢٠٤

٤ : قوله تعالى: {... فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ ... } سورة النساء/آية ١٠٣

٥ : وقد فَسّرَ الإمام الصادق (عليه السلام) حقيقة الذكر الذي فرضه الله تعالى على خلقه كما ورد عنه(عليه السلام) : {{ من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً ، ثم قال (عليه السلام) :

لا اعني (سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر) وان كان منه ولكن ذكر الله عندما أحل

وحرّم ، فإن كان طاعة عمل بها ، وان كان معـــصية تركها }} .

اللهم اجعلنا من الذاكرين العارفين

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

محمود الحسني

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الحلاج ورفع الانية	١
توقيع الناحية المقدسة	١
الوجود والانية	٣
الكثرة	٤
حقيقة الواجب والوجود	٥
العلم والادراك	٦
العلم يالحق تعالى وادراكه	٧
الكشف والشهود	١٠
الحجب النورية والظلمانية	١٣
حجاب التعين والانية	١٥
الفهرس	١٩